مجلة الإحياء، المجلد: 22، العدد: 31، جوان 2022، ص - ص: 287 – 306
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

سياق النص بين التأويل والقصدية في مقاربة النص القرآني "في ظلال القرآن لسيد قطب أنموذجا"

Le contexte du texte entre l'interprétation et intention Dans l'approche du texte coranique Fi dhilal al Qur'an à sayyed Qutb, modèle

د/ بهلول شعبان
كلية الآداب واللغات والفنون جامعة الدكتور مولاي الطاهر سعيدة
chaabanedahabi@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2020/07/26 تاريخ القبول: 2022/01/06

الملخص:
يمثل السياق أحد الفضاءات التي اعتمدها المؤلف في ترجمة مدلولات النص القرآني قراءة وتأويلا، ويأتي في مقدمة تلك السياقات سياق القارئ المعاصر، ذلك الذي ينفتح على عالمه وواقعه، وهو في حركة زمانية يسائل فيها النص القرآني عن حاضره ومستقبله، ويعالج مشكلات الحضارة والفكر والصراع بين الأنا والآخر، ويعرض كل المنظومات في ظل السياقات المُتَجَدِّدَة.
الكلمات المفتاحية: السياق؛ المتلقي؛ النص؛ القصدية؛ التواصل؛ الخطاب؛ إنتاج؛

Résumé
Le contexte représente l'un des espaces adoptés par l'auteur pour la traduction des multiples significations du texte coranique et de ses différentes interprétations. Au premier plan de ces contextes se place celui du lecteur contemporain qui est confronté à de nouvelles réalités que lui imposant les conjonctures d'un monde nouveau. Ce dernier est dans une dimension spatio-temporelle d'où il interroge le texte coranique sur son présent et son futur tout en se penchant sur des sujets susceptibles d'apporter des réponses et des solutions à des problèmes d'actualité en rapport à la civilisation, à la pensée et à la lutte existentielle entre l'égo et l'autre et ceci en exposant les différentes théories et approches élaborées à l'ombre de ces nouvelle contextualisations conjoncturelles.
Les mots clés : contexte; récepteur; texte; intentionnel; communication ; discours; Production.

المقدمة:

إن الهدف من هذه الورقة البحثية أنها تتعرض لإحدى القراءات المعاصرة للنص القرآني، تلك التي حاول على أساسها صاحب الظلال سيد قطب مقاربة الكتاب المعجز باستثمار ثقافته الواسعة، وبتوسل المناهج العلمية والأدبية والنقدية، بالإضافة إلى فعل المثاقفة لتحقيق ذلك الطموح الذي ارتسمت معالمه، واتضحت خطوطه في مرحلة النضج الفكري والهدى الرباني، وهو يتوجه بخطاب الإهداء إلى الخاصة والعامة من القرّاء معا، فيؤسس من خلاله عقدا قرائيا، وميثاقا دراسيا مع كتاب الله أولا، ومع القرّاء ثانيا؛ " إليك يا أماه. ثمرة توجيهك الطويل، لطفلك الصغير، ولفتاك الكبير. ولئن كان قد فاته جمال الترتيل، فعسى

ألا يكون قد فاته جمال التأويل. والله يرعاك عنده ويرعاه"[1]، إذ يجتمع في هذا الإهداء -الذي يمثل عتبة مناصيه هامة -فعلا التأويل والقصدية الجمالية، ومن هنا تطرح مسألة التأويل؛ بنية ومنهاجا قرائيا وسياقا تأطيريا عند المؤلف، وهو يتلقى النص القرآني، وفي نفس الوقت يؤسس للمقصدية الفنية بجمال الاستجابة والأثر، وجمال القراءة بين سلطة النص وسلطة القارئ، ومواقع الحدود ومواطن الانفتاح وجماليات التلقي.

أما فكرة المقال جاءت لتكشف عن الآليات التي استخدمها هذا المؤلف في مقاربته بأبعادها الظلالية والإيحائية بتوسل الترجمة الدلالية – كما وصفها هو نفسه-، ولذلك فقد أصبح السياق بكل أشكاله وصوره وفضاءاته مدخلا لهذه القراءة، وحقلا مناسبا لإنتاج المعنى بالإضافة إلى المداخل التي انفتحت لهذا القارئ الأديب لتمكين القراء من إدراك مقاصد النص القرآني في السياق المعاصر، وذلك بسلوك المداخل الأدبية والجمالية والفنية والفكرية والعلمية.

يأتي هذا المقال ليقف على إشكالية حدود الانفتاح والانغلاق، والمناطق المحدودة والممتدة أثناء عمليات التأويل بين سلطة النص وسلطة القارئ في ظلال القرآن، وما أثر ذلك على استراتيجيات التلقي الجديدة التي أثارها المؤلف، وهو يجمع في ترجمته الظلالية استهداف تجديد سياقات التلقي في ظل حركة الإنسان الحاضرة.

تكمن أهمية هذا البحث في أنه يقوم بعرض بعض النصوص التي تجسّد القراءة السياقية بمقاصدها الجمالية وبأبعادها التأثيرية، والذهاب بها نحو كشف حركة الإنسان المعاصر في معركته مع الأخر، فهي تطرح إشكالية وعي المسلم بحاضره، والكشف عن مقصدية الكتابة في هذا المُؤَلَّفِ الضخم ((في ظلال القرآن)) الذي كانت مقصدية صاحبه- في كل الصفحات- تستهدف تجديد قناة التلقي، والإحساس بالقرآن الكريم كما تلقاه الأولون، كما أنّ البحث يطرح قضية مركزية حول انفتاح النص وانغلاقه، أي بين سلطة القارئ وسلطة النص، ثم الانصراف بالمنهج القرائي تحت أثر الغايات الكبرى التي تصنع إنسانا يكون في مستوى الاستجابة والفاعلية والأثر. **أما منهج الدراسة** فقائم على الوصف وتحليل المقولات الظلالية لسانيا وخطابيا وأدبيا وفنيا ونقديا.

1-المقاربة السياقية: وسائلها وإجراءاتها:

لقد أدرك سيد قطب بحسه الواقعي، وبفكره الاستراتيجي، وبمنهجه القرائي أن هناك حلقة مفقودة في العملية التواصلية بين القارئ والنص، ذلك أنه قد ركن في لاوعي المتلقي أن القرآن نص قد أنزل في فترة تاريخية معينة، لها أسبابها ولها متلقيها، وقد صارت تسيطر عليه هذه الفكرة التاريخية، بل توجه فكره وسلوكه وتَبْنِي نظرته للأشياء، وحسب الدارس فإنّ الأمة قد أصبحت في حاجة إلى إعادة هذه العملية التواصلية برمجة وتركيبا صحيحين، تبدأ فيها الانطلاقة كما بدأت في تلك الفترة، ولذلك فقد أصبحت الأمة في حاجة إلى برمجتها على أنّ النص القرآني، هو نص الإنسان حاضرا ومستقبلا لا نصا ماضيا، ومن هذا المبدأ تَتَجَدَّدُ العملية التواصلية التي تتم باستشعار أركانها الأساسية مرسل (متكلم) ومتلق (مستقبل) وموضوع يمثل الحدث النصي، ومقام هو مكان الحدث التواصلي وزمانه.

يرى المؤلف أنّ الفاعلية لا تتم إلا باختراق الحاجز المكاني والزماني وبتجديد سياق التلقي، لأن هذه العملية هي التي يثمر من خلالها تفعيل النص بوضع المتلقي في سياقات جديدة لإنتاج دلالات مناسبة للمقامات المحتملة، ولهذا أصبح من الضروري تجديد علاقة المتلقي بالنص وقائله، والعودة بها إلى الاستعداد والحيوية، وتبقى سياقات المتلقين مختلفة، وبذلك قد تتباين فهومهم وتأويلاتهم، وكثيرا ما كان يردّد سيد قطب أن قراءاته الثانية قد تختلف عن الأولى، بل أكثر من ذلك أنه دعا القرّاء للمجاهدة القرائية ذات

الخصائص العاطفية والمعرفية ليتمكنوا من تجديد صلتهم بالقرآن وتوثيق التواصل به، وأن يتركوا هذه الظلال لأنها ليست نهائية، إذ جاء في تقديمه لسورة الرعد، "وإنني لأهيب بقرّاء هذه الظلال، ألاّ تكون هي هدفهم من الكتاب، إنما يقرؤونها ليدنوا من القرآن ذاته، ثم ليتناولوه عند ذلك في حقيقته، ويطرحوا عنهم هذه الظلال، وهم لن يتناولوه في حقيقته إلا إذا وقفوا حياتهم كلها على تحقيق مدلولاته، وعلى خوض المعركة مع الجاهلية باسمه وتحت رايته"[2].

يدفع المؤلف قرّاء الظلال إلى معايشة سياق الخطاب بدلالة الحاضر، وبالتلقي المباشر في ظل الواقع الراهن بحركته المتجدّدة، " وإنني لأدرك الآن-بعمق-حقيقة الفارق بين جيلنا الذي نعيش فيه، والجيل الذي تلقى مباشرة هذا القرآن. لقد كانوا يُخَاطَبُون بهذا القرآن مباشرة؛ ويتلقون إيقاعه في حسهم، وصوره وظلاله، وإيحاءاته وإيماءاته، وينفعلون بها انفعالا مباشرا، ويستجيبون لها استجابة مباشرة. وهم يتحركون به في وجه الجاهلية لتحقيق مدلولاته في تصورهم. ومن ثم كانوا يحققون في حياة البشر القصيرة تلك الخوارق التي حققوها، بالانقلاب المطلق الذي تم في قلوبهم ومشاعرهم وحياتهم، ثم بالانقلاب الآخر الذي حققوه في الحياة من حولهم، وفي أقدار العالم كله يومذاك، وفي خط سير التاريخ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها"[3].

إنّ هذه الرؤية تفيد أنّ تجديد فضاءات السياق واستشعارها عملية مُلِحَّة لتنشيط عمليات التلقي وفق متطلبات العصر وحركته، وبتأويل يساير مقتضياته، فـ"إن اختلاف السياق من شأنه أن يؤدي إلى اختلاف التأويل والفهم، وعلى هذا أصبح فهم سياق النصوص يُحْدِثُ دورا مزدوجا فهو يسمح للقارئ بوضع احتمالات مختلفة لفهم النص داخل سياقه الذي يفترض أن النص قد ورد فيه، فتتعدد الاحتمالات بتعدد القراءة، ومن جهة ثانية فإن السياق يحصر مجال التأويلات الممكنة ويدعم التأويل المقصود ساعيا إلى الحفاظ على النص من التأويلات الخاطئة"[4]، وهو ما اكتشفه الدارس نفسه، وهو يتعامل مع سورة الرعد، "وبعد، فهذا استطراد اندفعت إليه وأمامي هذه السورة، وكأنما أقرؤها لأول مرة، وقد قرأتها من قبل وسمعتها ما لا أحصيه من المرات. ولكن هذا القرآن يعطيك بمقدار ما تعطيه؛ وينفتح عليك في كل مرة بإشعاعات وإشراقات وإيحاءات وإيقاعات بقدر ما تفتح له نفسك؛ ويبدو لك في كل مرة جديدا كأنك تتلقاه اللحظة، ولم تقرأه أو تسمعه أو تعالجه من قبل!"[5]

لقد عاش سيد مع القرآن بما يمكن تسميته بالاستغراق النصي الذي فتح له آفاقا جديدة مُتَجَدِّدَة، وفي كل لحظة قراءة، أو تواصل مع كيان السورة، ذلك أنه يعتبر أن لكل سورة كيانها وشخصيتها ومميزاتها، وهذا الولوج لا يكون إلا بخلق إطار سياقي يُمَكِّن القارئ من إنتاج الدلالة، وتحقيق التجربة القرآنية التأويلية، ذلك أنّ صناعتها تتطلب جهدا فكريا ونفسيا وأدبيا، وهذا ما تجسده مقدمته لهذه السورة التي يقول عنها: إنها من " أعاجيب السور القرآنية التي تأخذ في نفس واحد، وإيقاع واحد، وعطر واحد من بدئها إلى نهايتها، والتي تفعم النفس، وتزحم الحس بالصور والظلال والمشاهد والخوالج، والتي تأخذ النفس من أقطارها جميعا، فإذا هي مهرجان من الصور والمشاعر والإيقاعات والإشراقات؛ والتي ترتاد بالقلب آفاقا وأكوانا وعوالم وأزمانا، وهو مستيقظ، مبصر، مدرك، شاعر، بما يموج حوله من المشاهد والموحيات. إنها ليست ألفاظا وعبارات، إنما هي مطارق وإيقاعات: صورها، ظلالها، مشاهدها، موسيقاها، لمساتها الوجدانية التي تكمن وتتوزع هنا وهناك!"[6].

يلفت المؤلف انتباه القرّاء إلى قضية هامة قد تناساها الناس بعامل الألفة المُجَمِّدة والمثبطة، فكما أن الناس ألفوا المظاهر الكونية المبثوثة هنا وهناك فأصيبوا بالبلادة إلا القلة القليلة، ومن ثم فقد غاب في حسّ الكثير منهم حركة الكون وجماله والتأمل في تكوينه، وصنع بديعه وتناسقه وقصد الخلق منه، فكذلك هذا

النص المقروء فقد ألفوه كتابا مزخرفا فذبل في حسهم ذلك اللقاء التفاعلي، ومن ثم تشكلت تلك الفجوة الخطيرة، فالكاتب يريد من القرّاء أن تتجدد حياتهم مع القرآن كما تتجدّد أيامهم بضوء الشمس، ونور القيام، وذهاب النهار، وقدوم الليل، وسائر المظاهر الكونية، وحركة الخلائق والكواكب والمجرات والنجوم.

يقدم السياق فضاءات جديدة تسمح بقراءة النص وتَقَصِّي آثاره بتفعيل عنصري النفس والواقع، وكما يقول الدارس عن سورة الرعد أنها: " تطوف بالقلب البشري في مجالات وآفاق وآماد وأعماق، وتعرض عليه الكون كله في شتى مجالاته الأخَّاذَة. وهي تلاحق ذلك القلب أينما توجه: تلاحقه بعلم الله النافذ الكاشف الشامل، يلم بالشارد والوارد، والمستخفي والسارب، ويتعقب كل حيّ ويحصي عليه الخواطر والخوالج"[7]، يهيئ الدارس سياقات القراءة بحيث تؤدي إلى استثمار كل المعاني والدلالات المحتملة المنبعثة من السياقات النصية، "إنه جو المشاهد الطبيعية المتقابلة: من سماء وأرض، وشمس وقمر. وليل نهار. وشخوص وظلال، وجبال راسية، وأنهار جارية، وزبد ذاهب، وماء باق، وقطع من الأرض متجاورات مختلفات، ونخيل صنوان وغير صنوان، ومن ثم تَطَّرِدُ هذه التقابلات في كل المعاني وكل الحركات وكل المصائر في السورة، فيتناسق التقابل المعنوي في السورة مع التقابلات الحسية، وتتسق في الجو العام، ومن ثم يتقابل الاستعلاء في الاستواء على العرش مع تسخير الشمس والقمر، وبالإجمال تتقابل المعاني، وتتقابل الحركات، وتتقابل الاتجاهات، تنسيقا للجو العام في الأداء!"[8]، إنه السياق الذي تتحرك فيه المشاعر والأحاسيس، وهي تتناوب فضاءات الواقع والخيال، والظاهر والباطن، والحاضر والغائب، باستخدام الملكات العقلية، وهي تقابل بين الحقائق والأشياء في درجات من الوعي والتبصر، واستثمار نتائج التجربة الشعورية في إنتاج المعنى.

2- المتلقي بين السياق التاريخي والنصي:

عندما تعرض المؤلف لترجمة سورة البقرة افترض عليه منهجه القرائي أن يستند إلى تاريخ الدعوة وتتبع محصلاتها لإنتاج سياقات تاريخية تعينه على فهم السورة، وحدة وهدفا وغاية وقصدا، وذلك لوضع القارئ في فضاء تفاعلي قابل لِلتَّثْوِير الدلالي بالاتكاء على سياقات النزول، واستثمارها في قراءة النص، والوقوف على جدلية النص والواقع، يقول الدارس واضعا الخطوط العامة لدراسة هذه السورة: " ولكي يتضح مدى الارتباط بين محور السورة وموضوعاتها من جهة، وبين خط سير الدعوة أول العهد بالمدينة وحياة الجماعة المسلمة وملابساتها من الجهة الأخرى، يحسن أن نلقي ضوءا على مجمل هذه الملابسات التي ظلت الدعوة الإسلامية وأصحابها يواجهونها-مع اختلاف يسير- على مر العصور وكر الدهور، من أعدائها وأوليائها على السواء مما يجعل هذه التوجيهات القرآنية هي دستور هذه الدعوة الخالدة، ويثبت في هذه النصوص حياة تتجدد لمواجهة كل عصر وكل طور، ويرفعها معالم للطريق أمام الأمة المسلمة تهتدي في طريقها الطويل الشاق بين العداوات المتعددة المظاهر المتوحدة الطبيعة، وهذا هو الإعجاز يَتَبَدَّى جانبٌ من جوانبه في هذه السمة الثانية المميزة في كل نص قرآني"[9].

لقد انطلق سيد من أن السورة في مجملها وحدة كاملة، لها محور رئيس مزدوج الخطين يعملان على تثبيت وتماسك الموضوعات في ظل القراءة السياقية القصدية، ولكن تلك الفكرة لا تتم بوجه دقيق إلا باستحضار الكثير من سياقات نزول النص القرآني وفق متطلبات المرحلة الراهنة، فهو يشير إلى إعادة إنتاج سياقات النص الأولى ابتداء، ثم القيام بعملية إسقاطية لسياقات تاريخية متشابهة يلحقهما استحضار واستثمار النص في سياق المتلقي المعاصر، فاستجابة النص القرآني لكل السياقات المتجددة يمثل معجزة متواصلة، وبذلك تضع هذه المقدمة المتلقي في سياقات متعددة أهمها السياق التاريخي والمقامي المتعلقان بالظروف النفسية والاجتماعية وأحوال المخاطبين وبيئة الخطاب المحيطة بالنص والمتلقي.

يحدِّدُ الدارس مقتضيات النص وحركة المتلقي، والسياقات المتجددة عبر التاريخ، فالأولى ذات الدلالة النصية التي تحيل على السياق الخارجي، والدلالة الثانية في كيفية توظيفه، والدلالة الثالثة تتمثل في المتغيرات، والخطاب القرآني في زمانه يأخذ أبعادا ثلاثة: " الزمن المطلق، والزمن العام، والزمن الخاص، فالزمن المطلق ما يتعلق بهذا القرآن الكريم في جانبه الغيبي، والزمن العام هو ما يتصل بتفاعل الشخوص مع هذا النص في كل مكان أو زمان، وفيه نرى النص في زمن تلقيه لا في زمن نزوله، والزمن الخاص وهو ما يتصل بالدلالة التاريخية، وهي ما يتصل بزمن الحدوث"[10].

يعتمد الدارس في منهجه القرائي، وفي مقاربته التأويلية القصدية على الزمنين الخاص والعام، فالأول يستحضر به واقع نزول الوحي، أمّا الزمن العام فتتوسع به الدلالة بمفهوم العموم، أما الزمن الغيبي فلم يخض فيه الدارس لأنّه في رأيه ليس من غايات وأهداف النص الظلالي، إذ يبقى الحديث عن اللوح المحفوظ وقِدَمِ القرآن، وغيره مما أثاره علماء الإسلام في منطقة النص غير القابل للتأويل، وبسلطة مغلقة، فيقول: "وهو في لوح محفوظ لا ندرك طبيعته، لأنه من أمر الغيب الذي تفرد الله بعلمه، إنما ننفتح نحن بالظل الذي يلقيه التعبير، والإيحاء الذي يتركه في القلوب، هو أنّ هذا القرآن مصون ثابت، قوله هو المرجح الأخير، في كل ما يتناوله من الأمور، يذهب كل قول، وقوله هو المرعي المحفوظ"[11]، يؤسس الكاتب بهذه الرؤية لفكرة انغلاق النص وسلطته، والقراءة في هذا المجال غير مسموحة، وفي مقاربتها زلل تأويلي غير محمود، ولا يفي بالقصدية المطلوبة، فالقضية أمر غيبي لا تدركه وسائل القارئ المحدودة.

تبقى قراءة النص في زمنه الخاص وربطه بأحداث أسباب النزول وسياقاتها من الآليات القوية المساعدة على ترجمة وفهم معاني ومقاصد النص ودلالاته بصفة دقيقة، تلك المهمة التي عمل الدارس على التكفل بها وتجشم تكاليفها، وهو يتحمل تبعات الترجمة والتأويل في ظل القصدية الهادفة، " كثيرا ما أقف أمام النصوص القرآنية وقفة المتهيب أن أمسها بأسلوبي البشري القاصر؛ المتحرج أن أشوبها بتعبيري البشري، ولكن ماذا أصنع ونحن في جيل لابد أن يقدم له القرآن مع الكثير من الإيضاح لطبيعته، ولمنهجه ولموضوعه كذلك ووجهته، بعد ما ابتعد الناس عن الجوِّ الذي تَنَزَّلَ فيه القرآن. وعن الاهتمامات والأهداف التي تَنَزَّلَ لها، وبعد ما انماعت وذبلت في حسهم وتصورهم مدلولاته وأبعادها الحقيقة، وبعدما انحرفت في حسهم مصطلحاته عن معانيها"[12]، إذ لا يتوقف المؤلف عند السياق الواقعي بل يتجاوزه إلى استثمار جوانب النص لإضاءة الحاضر وقراءة المستقبل، ذلك أن" الصورة التي يرسمها النص القرآني متفاعلة مع الواقع، ولكنها تُصَوِّرُه بصيغة العموم (مَشْهَدٌ من عَلٍ) بحيث يصلح أن يقرأ في كل واقع متشابه قراءة جديدة، وسنجد أن الواقعة التاريخية المحددة ماثلة في النص من غير أسماء شخوصها أو تفاصيلها الدقيقة، وهذا يتم عبر اللغة، وعبر أدوات التعميم والتخصيص فيها"[13].

نجد تجاوز الزمن الخاص إلى العام واضحا ومعتمدا في منهج الدارس، إذ يشخص الدلالة الجديدة بأحوالها ولغتها المعاصرة، ففي تعقيبه على قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (8) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (9) فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (10) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (11) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ (12)﴾ (البقرة: 8-12)، يقوم المؤلف أوّلا بتسليط الإشارة على هذه العينة بخصائصها الزمانية والمكانية، " لقد كانت هذه صورة واقعة في المدينة، ولكننا حين نتجاوز نطاق الزمان والمكان نجدها نموذجا مكرورا في أجيال البشرية جميعا، نجد هذا النوع من المنافقين من عَلْيَةِ الناس الذين لا يجدون في أنفسهم الشجاعة ليواجهوا الحق بالإيمان الصريح، أو يجدون

في نفوسهم الجرأة ليواجهوا الحق بالإنكار الصريح، وهم في الوقت ذاته يتخذون لأنفسهم مكان المترفع على جماهير الناس، وعلى تصورهم للأمور! ومن ثم نميل إلى مواجهة هذه النصوص كما لو كانت مطلقة في مناسبتها التاريخية، موجهة إلى هذا الفريق من المنافقين في كل جيل، وإلى صميم النفس الإنسانية الثابت في كل جيل"[14].

يوسع المؤلف بهذا المنهج القرائي السياق والدلالة بتوسيع دائرتي الزمان والمكان، ويصرح بأخذ النص من التحديد والتطويق إلى إطلاق المناسبة وتعميمها على عجلة التاريخ ودورته، ومن فرد أو أفراد إلى أجيال وبنفس لغتها إلى النفس البشرية عامة، إن استحضار سياقات التنزيل الأصلية للنص وملابسات الواقع الاجتماعي، ووضعها في سياقات جديدة، لها أبعاد تأثيرية على المتلقي تنشيطا ووعيا وتحفيزا واستجابة، ولقد عالج النص القرآني مسار دعوة الرسول ﷺ وواقع الرسالة المتطور والمتغير بسياقات تاريخية قديمة، ولاسيما القصص القرآني، "وهو من المنهج القرآني في تغيير الواقع الاجتماعي عن طريق استحضار السياقات المشابهة أو استدعاء السياقات ذات العلاقة ومن هنا تصبح معرفة (سياق الحال) المرافق للنص والمتمثل في سبب النزول ضروريا في فهم النص، وأساسيا في توضح استحضار هذه الوقائع التاريخية في هذا الموضع بالذات من الخطاب، وعلاقة كل ذلك بواقع المخاطبين"[15].

يمثل سياق التنزيل إضاءة لسياقات جديدة ووقائع اجتماعية وسياسية معاصرة. ذلك أنها تضع المتلقي في قلب الواقع المتغير والمتطور لا مقترحا أو مشاهدا، وإنما معاينا ومن ثم ينتقل من الحضور العقلي التأثيري إلى التحرك الفعلي، فيتحول الخطاب من نص ماض إلى نص حاضر، ومستقبل يعالج واقع الإنسان الجديد" والنص القرآني من حيث هو نص لغوي، بإمكانه أن يتجاوز حدود الواقع والأحداث الجزئية التي نزل استجابة لها، أي أن النص بإمكانه الامتداد عبر الزمن متجاوزا (حادثة النزول) أو القضية التي (أُلِّفّ) من أجلها إلى حوادث أخرى وقضايا تتعالق معها في بعض الوجوه"[16].

هذه الرؤية الاستراتيجية القرائية هي التي تنتج آليات تتفاعل مع النص برؤية جديدة، وقد وجدنا الدارس بهذا المذهب التحاوري وبآلية التعميم قد نهج مذهب الفقهاء الذين يدرسون النص لاستنطاق الحُكْمِ ثم تعميمه، ومن التعميمات التي أشارت إليها أحكام المؤلف في دراساته القرآنية نظرته إلى الجاهلية فعند تعرضه لقوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (المائدة: 50)، يأخذ هذا المفهوم (الجاهلية) بتوسيع دلالاته ولم يقف به عند حدوده السياقية الأولى في العرف الاجتماعي والثقافي السائدين في تلك الفترة، "إنّ معنى الجاهلية يتجدد بهذا النص، فالجاهلية- كما يصفها الله ويحدّدها قرآنه- هي حكم البشر للبشر، لأنها عبودية البشر للبشر، والخروج من عبودية الله، ورفض ألوهية الله، والاعتراف في مقابل هذا الرفض بألوهية بعض البشر وبالعبودية لهم من دون الله"[17]، يؤسس المؤلف لمفهوم الجاهلية من النص، وفي حدوده، ووفق سلطته، وفي سياقه اللغوي باستعمال اسم الإشارة، ولفظ الوصف اللذين يحددان توظيف هذا المفهوم، بل يجعل النص مصدرا مضيئا تتكشف أمامه ملابسات هذا المفهوم.

يعمل المؤلف على نقل المفاهيم من حدودها الاجتماعية والثقافية الزمانية والتاريخية الخاصة المحدودة إلى الإطلاق والتعميم،" إن الجاهلية- في ضوء هذا النص- ليست فترة من الزمان، ولكنها وضع من الأوضاع، هذا الوضع يوجد بالأمس، ويوجد اليوم، ويوجد غدا، فيأخذ صفة الجاهلية، المقابلة للإسلام، والمناقضة له، والناس- في أي زمان وفي أي مكان- إما أنهم يحكمون بشريعة الله- دون فتنة عن بعض منها- ويقبلونها ويسلمون بها تسليما، فهم إذن في دين الله، وإمّا أنهم يحكمون بشريعة من صنع البشر- في أي صورة من الصور- ويقبلونها، فهم إذن في جاهلية؛ وهم في دين من يحكمون بشريعته، وليسوا بحال في

دين الله. والذي لا يبتغي حكم الله يبتغي حكم الجاهلية، والذي يرفض شريعة الله يقبل شريعة الجاهلية، ويعيش في الجاهلية"[18].

يُقَلِّب الدارس هذا المفهوم على أوجه متعددة ليصل إلى حقيقة المفهوم مُجَرِّدا إياه من الزمان والمكان، ومحللا جوهره تحليلا لغويا وفكريا وتطوريا، إذ تتجلى فيه حركة تأويلية تجمع بين المواصفات والسلوكيات والأفكار والعقائد المشابهة بعيدا عن السياق المكاني والزماني، وذلك بإطلاق النص ووفق تحديداته، "ويعلمنا هذا المنهج أن السعي لاكتشاف دلالة النص يجب أن لا يفصل بين النص كونه بناءً يُطَوِّر نفسه عبر الزمن تلقائيا والوقائع التاريخية الثابتة التي يعبر عنها، وبالمقابل فإنه لا يصح أن نقف عند حدود هذه الوقائع من دون تقدير خصوصية اللغة التي من قدراتها التعميم والتجريد ومجاوزة الوقائع وإدراكها"[19].

ينتقل المؤلف بالقارئ من الوقوف عند مثل هذه المفاهيم من فهم محدد ودلالة حسية إلى حكم عام على أوضاع متجددة ومتغايرة، وبهذا يكون الدارس قد أدخل المفهوم في سياق جديد قصد تصحيح التصورات القائمة، إذ انطلق الدارس في تحليله للجاهلية من مفهومها الأول وتصوراتها وملابساتها وعلاقاتها وأحكامها وقوانينها، تلك التي كانت ملتصقة بأهلها كما قال جعفر بن عبد المطلب- رضي الله عنه- وهو يخاطب النجاشي: « أيها الملك: كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف.."[20]، فبعد تفاعله مع اللفظ في ظروف التشكيل وتحليل بنائه في إطاره الزماني والمكاني يكون قد حرّره منهجا وانطلق به إلى فضاءات مكانية وزمانية مغايرة؛ "ما يعني أننا إذ نكون في حضرة نص ملفوظ في زمن بَعُدَ عن زماننا، نجهد في بناء إطاره المكاني الزمني الأصيل حتى ندرك إلى أي نموذج من الموسوعة ينبغي لنا الرجوع لنحسن الإحاطة به، وبحال أن اللعبة التعاضدية، أي تفاعل القارئ ومشاركته في تشكيل معنى النص عن فاعل التلفظ، وأصله وطبيعته ومقاصده لا تبلغ ذروة تعقيدها إلا أمام نص مكتوب حين يكون المرسل غائبا جسمانيا، ومضمرا من قبل كل الخصائص الآيلة إلى التحليل في عبارات تعود إلى أنساق سيميائية ألسنية خارجية"[21].

إنّ البناء السياقي الأصلي للنص لا يمنع من تجاوزه إلى تعميمه للدفع بالطاقة التأويلية نحو فضاء مطلق كما تعامل سيد مع مفهوم الجاهلية في نظره، وحسب ما أوردناه سابقا، "فالنص يأتي ليخاطب جمهورا من الناس في إطار ثقافتهم وفي إطار منظومة حياتهم، ليصنع بعد ذلك ثقافة جديدة، ومنظومة جديدة، ويعالج الواقع الاجتماعي لأولئك المخاطبين معالجة تتفق وخفايا هذا الواقع"[22]، فالسياق له وظائف عدة في تحليل جوانب كثيرة منها؛ النص ومقاصده وأحوال المخاطبين وأوضاعهم المختلفة، فسياق التنزيل وأسبابه " تَمُدُّنَا بروافد عديدة تسهم كثيرا في تحليل النص فهي تصف السياق المقامي للنص، وتصف طبيعة المخاطبين، ووقائع أحوالهم، وتكشف عن هدف النص وأثره، وتكشف عن آلياته (النص) في الخطاب والتغيير، وهو ما يحتاج إليه الباحث والمفسر والمحلل الاجتماعي واللغوي الذي يتعامل مع النص من وجهته الاجتماعية"[23].

يتدرج الباحث من النص المقامي إلى التعميم باستخدام المعرفة الاجتماعية. فكيف عالج بها النفوس؟ إذ حوَّلها من الحالة المقصودة إلى الحالات المتكررة؟ ففي تعقيبه على قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (البقرة: 267)، فـ"إن الأسس التي تكشفت النصوص السابقة عنها أنّ الصدقة تقوم عليها وتنبعث منها لتقتضي أن يكون الجود بأفضل الموجود، فلا تكن بالدُّونِ والرَّدِيءِ الذي يعافه صاحبه، ولو قدم إليه مثله في صفقة ما قبله، إلا أن ينقص من قيمته، فالله أغنى عن يقبل الرديء

الخبيث! وهو نداء عام للذين آمنوا-في كل وقت وفي كل جيل-تشمل جميع الأموال التي تصل إلى أيديهم، ومن ثم يستوعب النص جميع أنواع المال. فالنص شامل لا يفلت منه مال مستحدث في أيّ ز مان ومكان"[24].

يقابل الدارس بين نماذج السلف والخلف انطلاقا من أحوال المخاطبين وواقعهم الاجتماعي، فيذكر أن النص القرآني قد عالج "حالة واقعة في المدينة، وترينا صفحة تقابل الصفحة الأخرى التي خطها الأنصار في تاريخ البذل السَّمْحِ والعطاء الفيَّاض، وترينا أن الجماعة الواحدة تكون فيها النماذج العجيبة السامقة، والنماذج الأخرى التي تحتاج إلى تربية وتهذيب وتوجيه لتتجه إلى الكمال!"[25]، هذه الدراسة تطرقت إلى السياقات (الداخلية) و(الخارجية)، فهناك آليات سياقية داخلية، وهي تلك الآليات التي تستثمر الروابط العقلية والذهنية اللغوية، أمّا السياق الخارجي يتناول القرآن من حيث هو نصوص متفرقة عبر مرحلة زمنية محددة، أما السياق الداخلي فيتناول النص القرآني من حيث هو وحدة نصية منسجمة متجانسة، أي دراسة النص في علاقاته النهائية، وبالنظر إليه ككتاب كامل محكم النصوص والبناء متشابك العلاقات، فهي قراءة "تبحث عن حقيقتها في آليات النص الخاصة التي تميزه داخل سياق الثقافة وتنبش في الظواهر الجمالية والأسلوبية"[26].

كانت هذه الدراسة مجالا من الاهتمامات البحثية القديمة للعلماء القدامى، "والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أوَّل كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها، أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها، ففي ذلك علم جَمٌّ، وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها، وما سيقت له"[27]، لقد انتقل سيّد من التقعيد والنظر إلى اكتشاف تلك العلاقات الداخلية من خلال رؤية كلية، ذلك أنّ" النص وحدة بنائية مرتبطة الأجزاء، ومهمة المفسر محاولة اكتشاف هذه العلاقات أو المناسبات الرابطة بين الآية والآية من جهة، وبين السورة والسورة من جهة أخرى، وبديهي أن اكتشاف هذه العلاقات يعتمد على قدرة المفسر وعلى نفاذ بصيرته في اقتحام آفاق النص"[28].

تنتمي هذا الرؤية إلى القراءة النقدية القديمة، إلا أنّ كل قارئ قد يكتشف بها سبكا جديدا وعلاقات مغايرة، وهنا يكمن إعجاز النص في كل مرحلة، فهذا الزرقاني في كتابه مناهل القرآن يصف ترابط أجزاء القرآن كوحدة نصية محكمة البناء؛ "إنّ القرآن الكريم تقرؤه من أوله إلى آخره، فإذا هو محكم الرد، دقيق السبك، متين الأسلوب قوي الاتصال، آخذ بعضه برقاب بعض في سوره وآياته، وجمله، يجري دم الإعجاز فيه كله، من ألفه إلى يائه، كأنه سبيكة واحدة، وعقد فريد يأخذ بالأبصار، نظمت حروفه وكلماته، وبدا أوله مواتيا لآخره"[29]، فعلى أساس هذه الآلية السياقية الداخلية قد اشتغل منهج سيّد القرائي، وقد كان يبحث في العلاقات الرابطة مستنداً إلى الطرح العقلي والحسي والخيالي والموضوعي والتأثيري، وكل ما يحقق فكرة التلازم، وقد أشار الرازي إلى ذلك التلاؤم والانسجام بقوله: "ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة (البقرة) وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه، وشرف معانيه، فهو أيضا بسبب ترتيبه ونظم آياته"[30].

لقد كان سيد قطب يتناول النص من جهات متعددة أولها سبب نزول نص الآية، أي أصل سياقها التاريخي، ثم الانتقال إلى موقعها بين النصوص الأخرى للوقوف على الوحدة العضوية والموضوعية، وهي دراسة تجاورية ثم إلى الإطلاق الدلالي الذي يجعل النص في سياقات متوقعة جديدة أو حاضرة في جيل ما، وهي عملية تجمع بين التناسب والأسباب، ذلك أنه "قد تنزل الآيات على الأسباب خاصة وتوضع كل واحدة منها مع من يناسبها مع الآي رعاية لنظم القرآن وحسن السياق"[31].

فالدارس في منهجه القرائي لا يتوقف عند التجاور الظاهر للمعنى فقط، إنّما يبعث في النص تجاورا تَصْوِيرِيًّا بديعا حتى أنّ الظاهر والباطن يتشابكان في تصوير رائع، له فعله العميق في النفس والفكر والخيال، ففي تعرضه لقوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ (مريم: 98)، إذ يتتبع الدارس تلك الإضاءات النصية المتتالية التي تشكل في النهاية حلقات متسلسلة من الصور والخيالات، فضاءات ضوئية تكشف للقارئ عن مساحات مظلمة عبر الأزمان في حياة الأقوام يقول معقبا على تلك الآية: "وهو مشهد يبدؤك بالرجفة المدمرة ثم يغمرك بالصمت العميق وكأنما يأخذ بك إلى وادي الردى، ويوقفك على مصارع القرون، وفي ذلك الوادي الذي لا يكاد يحدّه البصر، يسبح خيالك مع الشخوص التي كانت تَدِب وتتحرك، والحياة التي كانت تنبض وتمرح، والأماني والمشاعر التي كانت تحيا وتتطلع، ثم إذا الصمت يخيم، والموت يجثم، وإذا الجثث والأشلاء والبلى والدّمار، لا نأمة، لا حس، لا حركة، لا صوت، (هل تحس منهم من أحد)، انظر وتَلَفَّت (هل تسمع لهم ركزاً)، تَسَمَّعْ وأَنْصِتْ، ألا إنه السكون العميق والصمت الرهيب، وما من أحد إلا الواحد الحي الذي لا يموت"[32]، واللفتة اللطيفة في هذا المشهد الظلالي هو إعادة إنتاج سياق الأحداث بشخوصها وأزمنتها الغابرة وأمكنتها الصامتة المرعبة لنقل المتلقي عبر طاقة الأفعال الكلامية: تَسَمَّعْ وأَنْصِتْ إلى تلك الأجواء يعيشها بخياله وحسّه، سياق يستحضر القرون المتباعدة للأقوام الهالكة في شريط من الأزمنة بصورها المتلاحقة في الذهن.

لقد تتبع الدارس التناسب الدلالي التصويري مع التطرق إلى التناسب الكلي بين الآيات، بل بين بداية السورة وخاتمتها، وقد كانت هذه الآية السابقة هي قفل السورة؛ "وتختم السورة بمشهد يتأمله القلب طويلاً ويرتعش له الوجدان طويلاً، ولا ينتهي الخيال من استعراضية، ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ (مريم: 98).

لقد أراد الدارس أن يضيء كهوف المشاهد بتلك الإشراقات لتفعيل الغايات التأثيرية، وتأكيد وظيفة النص الختامية في قرع الأسماع وترسيخ الصور في الأذهان، وبذلك يعمل سيّد على ربط افتتاح السور بخواتمها دائما، وهو ما اهتم به العلماء فقد "اهتم علماء القرآن بمسألة المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها، وربطوا ذلك بالسياق من خلال الإشارة إلى أثر ذلك على المتلقي ومراعاة أحواله النفسية واستجاباته، كما ربطوا ذلك بظروف الخطاب، وبالغرض الذي سيقت له السورة وما يحتاج إليه من المقدمات والفواتح"[33].

3- السياق بين قصدية النص وفرضية السند:

يبقى السياق آلية لحصر المعاني واكتشاف الدلالات، إلا أنّ الدارس يقف أمام السياقات المختلفة مناقشا وناقدا بل رافضا لبعضها أمام قوة السياق الداخلي فعند تعرضه لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (52) لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (53)﴾ (الحج: 52-53)، فقد استند الكثير من المفسرين إلى سياقات خارجية لفهم هذا النص تمثلت في ذكر روايات، وأسباب صاحبت نزول هذه الآيات، وأكثر تلك الروايات شهرة وتفصيلا تلك التي تقول بأن المشركين تمنوا لو يذكر النبي آلهتهم بخير أقرّوه وأصحابه، وفي الجهة المقابلة كان الرسول ﷺ يتمنى هداهم فلما أنزل الله سورة النجم ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (19) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (20) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى (21) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى (22)﴾، ألقى الشيطان عندها كلمات حين ذكر الله الطواغيت فقال: وإنّهن لهن الغرانيق العلى وإنّ شفاعتهن لهي التي ترجى، فوقعت هاتان الكلمتان في قلب كل مشرك بمكة، وجرت

بها ألسنتهم فلما بلغ الرسول ﷺ في قراءته لسورة النجم آخرها سجد وسجد كل من حضره من مسلم أو مشرك وكان لذلك عجبا في الفريقين وتحدث بها الناس في كل مكان حتى بلغت أرض الحبشة"[34].

وبعد تقديم سيّد لهذه السياقات الخارجية التاريخية يبدأ في نقدها نقدا علميا وموضوعيا؛ "هذه خلاصة تلك الروايات في هذا الحديث الذي عرف بحديث الغرانيق، وهو من ناحية السند واهي الأصل، وهو من ناحية موضوعه يصادم أصلا من أصول العقيدة وهو عصمة النبي ﷺ من أن يدسّ عليه الشيطان شيئا في تبليغ رسالته"[35]، ويستند سيد في نقد وردّ هذه الروايات إلى أمرين أولهما؛ سياق النص وثانيهما من النص القرآني عموما فيقول عن الأوّل: "وهناك من النص ذاته ما يستبعد معه أن يكون بسبب نزول الآية شيئا كهذا، وأن يكون مدلوله حادثا مفردا وقع للرسول ﷺ فالنص يقرّر أنّ هذه القاعدة عامة في الرسالات كلها، ومع الرسل كلهم، فلا بد أن يكون المقصود أمرا عاما يستند إلى صفة في الفطرة مشتركة بين الرسل جميعا بوصفهم من البشر، مما لا يخالف العصمة المقررة للرسل"[36].

وإذا كان الكثير من المفسرين قد وقفوا وقوفا لغويا عند لفظة (تمنى) بمعنى تلا أو قال، وهو استحضار لسياقات مختلفة إلا أنّ سيّدا قد خرج من دائرة السياق اللغوي إلى سياق النص القرآني عموما، أي أنه فسّر المعنى المقصود الجزئي من الكلية النصية ومن خلال تجميع الأجزاء الأخرى المتفرقة في النص القرآني، وهو الأمر الثاني الذي استند إليه المؤلف مخالفا بذلك سابقيه إذ يقول: "وهذا ما نحاول بيانه بعون الله، والله أعلم بمراده، إنّما نحن نفسر كلامه بقدر إدراكنا البشري، فالرسل يودّون أن يستميلوا الناس إلى العقيدة الجديدة مع أساليب الوّد والمهادنة ويغضون عن بعض عاداتهم وتقاليدهم رجاء في استمالتهم وجذبهم إلى الدعوة، ويودّون من مثل هذه الأماني والرغبات البشرية المتعلقة بنشر الدعوة وانتصارها، ذلك على حين يريد الله أن تمضي الدعوة على أصولها الكاملة، وفق موازينها الدقيقة"[37].

وبعد الانطلاق من النص للوصول إلى تلك الحقائق، يستدرج الدارس نصوصا أخرى تؤكد منطلقه في تفسير النص بغيره في طريقة تعاضدية المعنى والمدلول، "ويجد الشيطان في تلك الرغبات البشرية، وفي بعض ما يترجم عنها من تصرفات أو كلمات، فرصة للكيد للدعوة وتحويلها عن قواعدها، وإلقاء الشبهات حولها في النفوس، ولكن الله يحول دون كيد الشيطان، ويبين الحكم الفاصل فيما وقع منهم من خطأ في احتياجاتهم للدعوة، كما حدث في بعض تصرفات الرسول ﷺ وفي بعض اتجاهاته"[38]، وبذلك ينتقل سيّد من سياقات خارج النص إلى سياقات داخلية، ومن نظرة جزئية إلى نظرة كلية، إلى وحدة النص المترابط الأجزاء حتى وإن تباعدت، وبذلك فسر الأماني التي يلقيها الشيطان من خلال نصوص قرآنية"، وفي حياة النبي ﷺ وفي تاريخ الدعوة الإسلامية نجد أمثلة من هذا تغنينا عن تأويل الكلام- أي ما جاء في الروايات"[39]، إذ يستحضر سيّد ثلاثة نصوص تعاضد تأويل الأماني من خلال ثلاثة أمثلة:

1- "قصة الأعمى في قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى (1) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (2) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (3) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (4)﴾ (عبس: 1-4).

2- طرد ضعاف المسلمين في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (52) وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ (53)﴾ (الأنعام: 52-53).

3- زواج النبي من زينب بنت جحش المطلقة من متبناه زيد في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ

فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ (الأحزاب: 37)"[40].

لقد انتقل سيّد في تفسير النص من السياق الخارجي إلى السياق النصي الداخلي والكلي، وكانت الأماني والرغبات التي يستثمر فيها الشيطان، ولا يغفل الدارس مقصدية النص وغاياته التأثيرية والتوجيهية التي تأخذ بعين الاعتبار طرف المتلقي أي من السياق الخارجي المردود إلى السياق النصي الكلي إلى سياق المتلقي الحاضر المعاصر، « ولقد تدفع الحماسة والحرارة أصحاب الدعوات - بعد الرسل- والرغبة الملحة في انتشار الدعوات وانتصارها، تدفعهم إلى استمالة بعض الأشخاص أو بعض العناصر بالإغضاء في أول الأمر عن شيء من مقتضيات الدعوة يحسبونه هم ليس أصيلا فيها، ومجاراتهم في بعض أمرهم كي لا ينفروا من الدعوة ويخاصموها؟ ولقد تدفعهم كذلك إلى اتخاذ وسائل وأساليب لا تستقيم مع موازين الدعوة الدقيقة، ولا مع منهج الدعوة المستقيم، وذلك حرصا على سرعة انتصار الدعوة وانتشارها، واجتهادا في تحقيق (مصلحة الدعوة)، ومصلحة الدعوة الحقيقية في استقامتها على النهج دون انحراف قليل أو كثير، أما النتائج فهي غيب لا يعلمه إلا الله"[41].

إنّه سياق جديد ينتجه المؤلف المتلقي، وبهذا الانتقال يكون سيد قد أدخل النص في نظام لغوي وإنتاج غيري، تدخل هذه القراءة الدوال النصية في طبيعة عمومية، ذلك أن النصوص الممتازة" تتضمن -أيضا- دوال ذات طبيعة عامة، وهي الدوال التي تمكن العصور المختلفة من قراءة النصوص واكتشاف دلالات مغايرة فيها"[42]، وهو انتقال من سياق إلى سياق ومن الجزء إلى الكل ومن الخصوص إلى العموم،" فقد أكد العلماء أنّ النصوص أو الآيات التي نزلت عند سبب خاص تتجاوز من حيث دلالتها حدود هذا السبب الخاص، فالنص يمكنه الاستجابة لمتغيرات الواقع في حركته النامية المتطورة عبر التاريخ"[43].

أجرى الدارس قراءاته على ثلاث مرتكزات؛ أسياسية تاريخية ونصية وإطلاقيه، يتحرك فيها العقل والفكر والمعرفة في اتجاهات مختلفة،" فاكتشاف دلالة النص عملية معقدة تُجسِّد علاقة القارئ، المفسر، بالنص من خلال إقامة حركة ربط دائرية تسير في مدار من خارج النص إلى داخله والعكس، مُتَمَتِّعا بحرية القراءة والاجتهاد والترجيح بين الدلالات والروايات المختلفة من دون إهمال العناصر والدوال الداخلية المكونة للنص"[44]، فلقد مكنت تلك الدراسة سيّدًا من خلال تلك الآليات اكتشاف دلالات جديدة، انطلقت من الخبرة والتساؤل والنقد والترجيح، ومساءلة النص ومحاورته، ومعرفة مدى استجابته للاحتمالات المفترضة، مع مناقشة الجهود الإنسانية التفسيرية وعرضها على النصوص، ثم الوصول إلى حقيقة مفادها أن النص وحدة بنائية متراصة، والسياق والقصدية عنصران مهمان في العملية التأويلية.

4- السياق بين القصدية وجدّية التواصل الخطابي:

يتتبع الدارس الآيات بكثير من التفصيل والاستطراد، منها تلك الإضاءات التي يبعث بها النص نحو القلب والعقل والفكر فيصنع منها المؤلف عالما جديدا من الصور والبنى والأفكار ذلك: "أن القرآن أجمل الكلام عن الأمم وعن السنن الإلهية، وعن آياته في السموات والأرض، وفي الآفاق والأنفس، وهو إجمال صادر عمن أحاط بكل شيء علما، وأمرنا بالنظر والتفكر والسير في الأرض لنفهم الإجمال بالتفصيل الذي يزيدنا ارتقاء وكمالا، ولو اكتفينا من علم الكون بنظرة في ظاهره لَكُنَّا كمن يعتبر الكتاب بلون جلده لا بما حواه من علم و حكمة"[45]

لقد أدرك سيد أنّ هناك انقطاعا أصاب العملية التواصلية، ذلك أنّ الجيل المعاصر قد افتقد إلى الكثير من أدوات الاتصال سواء ما تعلق الأمر بالعامل الثقافي الموروث أو ما تعلق بالمعاصر بسبب ظروف

الاستدمار والانبهار بالغرب، بالإضافة إلى الضبابية التي أصابت قناة الاتصال المتمثلة في طول الأمد بين النزول والتلقي، وجوهر الرسالة ومقتضياتها، وفقدان المخاطبين المعاصرين لأدوات الاتصال اللغوية بكل معارفها المعجمية والبلاغية والأسلوبية والنحوية والصرفية وبالتالي أصبحنا أمام حالة شاذة في فهم الخطاب، ذلك أنّ أثر الخطاب لا ينتقل إلى المتلقي بسبب تلك الموانع، والحقيقة "أنّ المُخَاطَبَ والمرسل إليه إن لم يفهم ما خوطب به وأرسل به إليه فحاله قبل الخطاب، وقبل مجيء الرسالة إليه وبعده سواء، إذ لم يفده الخطاب والرسالة شيئا، كان به قبل ذلك جاهلا"[46]، وذلك هو لبّ الإشكال المطروح الذي أدرك المؤلف خطورته، وصار بالضرورة أن الأثر لا يصل إلى المتلقي، وذلك ما صرح به في مؤلفه قائلا: "ولكن ماذا أصنع ونحن في جيل لا بد أن يقدم له القرآن مع الكثير مع الإيضاح لطبيعته ولمنهجه ولموضوعه كذلك، ووجهته، بعدما ابتعد الناس عن الجو الذي تنزل فيه القرآن، وعن الاهتمامات والأهداف التي تنزل لها، وبعدما انماعت وذبلت في حسمهم وتصورهم مدلولاته وأبعادها الحقيقية، وبعدما انمحت في حسهم مصطلحاته عن معانيها"[47].

يقوم الدارس بتشخيص هذه الحالة الشاذة والمتمثلة في توقف القنوات الاتصالية بسبب العوامل التي ذكرها، كما افتقد فيها المتلقون إلى الاستعدادات الجسمية والروحية والنفسية والذهنية لإقامة تواصل حقيقي مؤثر، ولا تكمن المشكلة في النص، ولا في القناة كذلك بل ترجع إلى المتلقي ذاته، "والله جلّ ذكره، يتعالى أن يخاطب أو يرسل رسالة لا توجب فائدة لمن خوطب أو أرسلت إليه لأن ذلك فيه من فعل أهل النقص والعبث، وتعالى الله عن ذلك علوا"[48].

فالخلل كما يّشَخِّصُه المؤلف في المتلقي، وفي تلك المؤثرات التي أفسدت قنوات الاتصال وأدواتها بسبب العامل الزمني التاريخي البعيد، ولاسيما بعدما انطفأ حسّ التلقي وفقه المدلولات، وبذلك الاضطراب الذي أصاب الجهاز المفاهيمي للكثير من المصطلحات التي تعرضت للتشويه والانحراف، ونظرا لكل هذه الأسباب كان هدف (في ظلال القرآن)، ومقصدتيه هي إعادة تهيئة المتلقي من جديد ذهنيا وفهما وحسا وأثرا وفاعلية، وذلك لا يكون إلا بنص جديد له إسهامات توضيحية للنص الأصل بحيث لا يكون نصا مجزّءا مخلخلا، بل نصا في مستوى الإبداع والتميز والبناء والتماسك لإعادة تحقيق الوظيفة التواصلية، وهو إدراك عميق للمشكلة، ومعلوم أنّ أركان الخطاب الأساسية تتمثل في موضوع الخطاب والمُخَاطَب والرسالة اللغوية، والخلل كما جسده سيّد يكمن في المُخَاطَب، وهو ركن يمثل أثر الخطاب ومحور العملية الاتصالية، وإنّ انعدامها كان بسبب فقدان المتلقي لآليات فكّ الشفرات النصية بسبب المؤثرات الخارجية، وهي القاعدة التي يقف عليها المؤلف حين يقابل بين النموذجين أو الجيلين؛ " لقد كانوا ينهلون مباشرة من معين هذا القرآن بلا واسطة. ويتأثرون بإيقاعه في حسهم فماً لِأُذْنٍ. وينضجون بحرارته وإشعاعه وإيحائه؛ ويتكيَّفون بعد ذلك وفق حقائقه وقيمه وتصوراته"[49].

إن القصدية التي يصنعها الظلال تتمثل في تجديد علاقة المتلقي بالنص من خلال السياق الناشئ المثمر وباستبعاد كل الوسائط الأخرى، "أما نحن اليوم نتكيف وفق تصورات فلان وفلان عن الكون والحياة والقيم والأوضاع. وفلان وفلان من البشر القاصرين من أبناء الفناء"[50]، ولهذا، وحسب رأي المؤلف فإن تجديد العلاقة بالنص تأثيرا وحركة وبناء لا تكون إلا بالتواصل المباشر؛ "ثم ننظر نحن إلى ما حققوه في حياتهم من خوارق في ذات أنفسهم وفي الحياة من حولهم، فنحاول تفسيرها وتعليلها بمنطقنا الذي يستمد معاييره من قيم وتصورات ومؤثرات غير قيمهم وتصوراتهم ومؤثراتهم. فنخطئ ولا شك في تقدير البواعث وتعليل الدوافع وتفسير النتائج، لأنهم هم خلق آخر من صنع هذا القرآن"[51].

5- إنتاج الدلالة بين سياق القارئ وسلطة النص:

يتعامل الدارس مع السور القرآنية انطلاقا من مبدأي الوحدة الموضوعية والعضوية، ففي رأيه أن كل سورة تمتلك كونا خاصا بها يميز شخصيتها ويحدد أهدافها وغاياتها، وعلى ضوء هذه الاستراتيجية القرائية تمثل المتواليات من الآيات في النهاية وحدة نصّية متناسقة وبنية دلالية متماسكة الأجزاء الظاهرة والباطنة، فالنص "وحدة لغوية دلالية تنتج عن مجموعة من الجمل الرابط فيما بينها من خلال وسائل الخطاب النحوية والدلالية والمنطقية"[52]، إذ يضع -مثلا- لسورة البقرة الطويلة محورا أساسيا ذا خطين مزدوجين ينموان نموا إعجازيا فتنبسط السورة أمام القارئ، وتظهر مرتبة بطريقة مقصودة تسير مع القارئ في خطاب منتظم متسلسل الحلقات منتظم الموضوعات، ويبدو ذلك من خلال المقاطع والجولات والدروس والأشواط، وهو تعامل مع النص في إطار منتظم، ويعمل النص الظلالي في اتجاه الممارسة القرائية على ملامسة وتشريح ذلك الخلل الذي أصاب منظومة التلقي للخطاب عند المخاطب بفتح الأفاق أمام المتلقي من خلال الاستطراد وتقريب المفاهيم إليه لتجديد الوظيفة التواصلية وتمديد جسور الانتقال، وتحقيق مقصدية النص وتفعيل القراءة من خلال الآلية التفصيلية.

تبرز تلك الوحدة من خلال الترجمة التي قام بها المؤلف وهو يعالج النصوص القرآنية والوقوف على المصطلحات والمفاهيم والأوصاف المقصودة. ففي تفسيره لآيات الإسراء في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا (16) وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (17) مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا (18) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (19) كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (20) انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا (21)﴾ (الإسراء: 16-21)، إذ يركز الدارس على مفهوم (الترف) لدلالته ومركزتيه في نص الآيات؛ " والمترفون في كل أمة هم طبقة الكبراء الناعمين الذين يجدون المال، ويجدون الخدم، ويجدون الراحة، فينعمون بالدعة وبالراحة وبالسيادة، حتى تترهل نفوسهم وتأسن، وترتع في الفسق والنجاسة، وتستهتر بالقيم والمقدسات والكرامات، وتَلْغَ في الأعراض والحرمات، وهم إذا لم يجدوا من يضرب على أيديهم عاشوا في الأرض فساداً ونشروا الفاحشة في الأمة وأشاعوها وأرخصوا القيم العليا التي لا تعيش الشعوب إلا بها ولها، ومن ثم تتحلل الأمة وتسترخي، وتفقد حيويتها وعناصر قوتها وأسباب بقائها فتهلك وتطوى صفحتها"[53].

يحوّل الدارس المفهوم إلى نص ويتحول المصطلح إلى مركز محور تنشأ حول قطبه دلالات، ومن خلية نصية واحدة إلى مجموعة من الخلايا البنّاءة لتشكل في النهاية نسيجا متكامل الخطوط الذاهبة في الطول والعرض، ويتابع فيها المتلقي المَشَاهِدَ تُبْنَى أمامه بناءً، كما يتحول المفهوم إلى قصة نابضة بالحياة والحركة، لها بداية ولها خاتمة، وتبتدئ من حلقة لتشكل حلقات، "والتتابع عندئذ منظم لحركة النص ولفعل القراءة بحيث يسير في اتجاه واحد مما يسهل على القارئ الوصول للقضية الكبرى، وذلك بخلاف ما يقوم به القارئ في النصوص الأخرى التي لا تعتمد على الحكي، حيث يبذل مجهودا أكبر للوصول إلى حدود القضية الكبرى، ويقوم بفعل القراءة في اتجاهات أخرى صعودا وهبوطا واستنتاجا"[54].

لقد ضاعف المؤلف دلالات المفهوم من الإجمال إلى التفصيل، وبذلك يزيل النص الجديد بحركته التأويلية ذات المقاصد الواضحة والهادفة الغمام عن الأعين فيلامس صفاء الذهن، وفطره القلب ونور العقل، فترسخ الآثار بصمة بصمة في النفس، ويبدأ المؤلف بعد هذا المشهد في استنباط القوانين التي على المخاطبين

أن يدركوها، فـ" الآية تقرر سنة الله هذه، فإذا قدر الله لقرية أنها هالكة، لأنها أخذت بأسباب الهلاك، فكثر فيها المترفون فلم تدفعهم ولم تضرب على أيديهم، سلّط الله هؤلاء المترفين ففسقوا فيها، فعم فيها الفسق، فتحللت وترهلت، فحقت عليها سنة الله، وأصابها الدمار والهلاك، وهي المسؤولة عما يحل بها لأنها لم تضرب على أيدي المترفين، ولم تصلح من نظامها الذي يسمح بوجود المترفين، فوجود المترفين ذاته هو السبب الذي من أجله سلطهم الله عليها ففسقوا، ولو أخذت عليهم الطريق فلم تسمح لهم بالظهور فيها ما استحقت الهلاك، وما سلط الله عليها من يفسق فيها ويفسد فيقودها إلى الهلاك"[55].

يتحول النص الظلالي إلى مكبر ضوئي لاستقراء الواقع المعاصر، كما يقوم بعملية إسقاطية تضيء المساحات وتصنع الدلالات التي يحتاجها القارئ المعاصر، وتنتج الدلالات التي تستجيب لمحاور الآتية، فـ"إن إرادة الله قد جعلت للحياة البشرية نواميس لا تختلف، وسننا لا تتبدل، وحين توجد الأسباب تتبعها النتائج فتنفذ إرادة الله وتحق كلمته، والله لا يأمر بالفسق، لأن الله لا يأمر بالفحشاء، ولكن وجود المترفين في ذاته دليل على أن الأمة قد تخلخل بناؤها، وسارت في طريق الانحلال، وأن قدر الله سيصيبها جزاء وفاقا، وهي التي تعرضت لسنة الله بسماحها للمترفين بالوجود والحياة"[56].

ينتقل المؤلف من توضيح المفاهيم وإدراك القوانين، ومن التوظيف الإسقاطي إلى البناء الفكري؛" فالإرادة هنا ليست إرادة للتوجيه القهري الذي ينشئ السبب ولكنها ترتب النتيجة على السبب، الأمر الذي لا مفر منه لأن السنة جرت به، والأمر ليس أمرا توجيهيا إلى الفسق، ولكنه إنشاء النتيجة الطبيعية المترتبة على وجود المترفين وهي الفسق"[57]، والملاحظ أنّ المؤلف ينظم خطابه في الظلال ترتيبا وتناسقا مقدمة وختاما سببا ونتيجة في متوالية نصية مرتبة وفي تأويل متدرج للمقدمات والنهايات والأسباب والنتائج والعلل المعلولات، إذ يشعر القارئ بذلك، وهو يقرأ النص الجديد، ويحس بذلك التواصل والتسلسل الواضحين في المنظومة الخطابية المُنْتَجة، فيتواصل القارئ مع المؤلف في هذا الخطاب المرتب والمنظم، "وهنا تبرز تبعية الجماعة في ترك النظم الفاسدة تنشئ أثارها التي لا مفر منها، وعدم الضرب على أيدي المترفين كي لا يفسقوا فيها فيحق عليها القول فيدمرها تدميرا"[58]، ويتابع المؤلف في منظومة خطابية متسلسلة متناسقة، "هذه السنة قد مضت في الأولين من بعد نوح، قرنا بعد قرن، كلما فشت الذنوب في أمة انتهت بها إلى ذلك المصير، والله هو الخبير بذنوب عباده البصير"[59]، ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ (الإسراء: 17)، فمن خلال الآليات الترابطية للخطاب الظلالي يواصل المؤلف؛ "وبعد فإنّ من أراد أن يعيش بهذه الدنيا وحدها، فلا يتطلع إلى أعلى من الأرض التي فيها، فإن الله يعجل له حظه في الدنيا حتى يشاء، ثم ينتظره في الآخرة، جهنم عن استحقاق، فالذين لا يتطلعون إلى أبعد من هذه الأرض يتلطخون بوحلها ودنسها ورجسها، ويستمتعون كالأنعام، ويستسلمون فيها للشهوات، والنزعات ويرتكبون في سبيل تحصيل اللذة الأرضية ما يؤدي إلى جهنم"[60].

يقابل الدارس بين النصوص تقابلا ترابطيا، ذلك أن التضاد هو من وسائل ربط الخطاب، والهدف توضيح المعنى وتأكيده استجابة لخط النص القرآني: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ (الإسراء: 18)، "والذي يريد الآخرة لا بد له أن يسعى لها سعيها، فيؤدي تكاليفها وينهض بتبعاتها، ويفهم سعيه لها على الإيمان، والسعي للآخرة لا يحرم المرء من لذائذ الدنيا الطيبة، إنما يمدّ بالبصر إلى آفاق أعلى فلا يكون المتاع في الأرض هو الهدف والغاية، ولا خير بعد ذلك في المتاع حين يملك الإنسان نفسه، فلا يكون عبدا لهذا المتاع، وإذا كان الذي يريد العاجلة ينتهي

إلى جهنم مذموما مدحورا، فالذي يريد الآخرة ويسعى لها سعيها ينتهي إليها مشكورا يتلقى التكريم في الملأ الأعلى جزاء السعي الكريم لهدف كريم، وجزاء التطلع إلى الأفق البعيد الوضيء"[61].

يتدرج سيّد (مع الآيات)، ويتماشى النص الظلالي مع النص القرآني في تواز موسع وخطاب منتظم في شكل استطرادي" ينتقل فيه من قضية إلى قضية تكون الأخيرة حاصلاً ونتيجة للقضية الأولى وخلاصة، وتجعل القارئ يستنتج سبب إيرادها"[62]، وبذلك يشكل النص الظلالي بناء تراكميا وفاعلية في الأثر، وهو تدرج يأخذ القارئ في يسر وسهولة، تتحقق بهما على عتبات هذا المنهج القرائي الوظيفة التواصلية، "وعلاقة السبب بالنتيجة من العلاقات التي قد ترد بشكل عكسي، أي نتيجة بسبب، فالكاتب يورد الظاهرة أولا (النتيجة) ثم يتجه إلى ذكر (أسبابها). والأمر متعلق عندئذ بالمتلقي وطبيعة العلاقة بينه وبين الكاتب التي تجعل الأخير يقدم الأسباب أولا أحيانا، ويقدم في أحيان أخرى النتائج حينما تكون العلاقة بينه وبين المتلقي أكثر صفاء وودّية، ثم إنه يذكر بعد ذلك التفسير. والتقديم أو التأخير مرتبط بأهمية القضية (النتيجة) ورغبة الكاتب في إظهارها"[63].

لقد صار نص الآية بهذا المنهج القرائي خلية حية تبدأ في الانقسام ثم التشكل والتكون المادي؛ "إن الحياة للأرض، حياة تليق بالديدان والزواحف والحشرات والهوام والوحوش والأنعام، فأما الحياة الآخرة فهي الحياة اللائقة بالإنسان الكريم على الله الذي خلقه فسواه، وأودع روحه، ذلك السر الذي ينزع به إلى السماء، وإن استقرت على الأرض قدماه"[64]، يتواصل الاستطراد الترابطي إعطاء النص الظلالي تناسبا مستنبطا من النص ذاته، ومن كليته في الانسجام والتناسق، "على أن هؤلاء وهؤلاء إنما ينالون من عطاء الله، سواء منهم من يطلب الدنيا فيعطاها، ومن يطلب الآخرة فيلقاها، وعطاء الله لا يحظره أحد ولا يمنعه، فهو مطلق تتوجه به المشيئة حيث تشاء"[65] ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ (الإسراء: 20).

يدخل المؤلف في درجة من تصعيد المعنى، ومضاعفة تشكيل القضايا عن طريق الاستقصاء باستثمار السياق الحاضر، "و يقصد به تصعيد المعنى والوصول به إلى غايته، وهو الأمر الذي قد يقترب من المبالغة"[66]، والملاحظ على هذا الأسلوب عند المؤلف أنه يعرض تلك القضايا الجزئية في أسلوب تتجلى فيه الروح الموسيقية ولاسيما في جانبها البديعي من السجع والمقابلة، و"إنّ ارتباط الاستقصاء بالسجع يتفق والمفهوم البلاغي (الإطناب) وهو التوسع في الألفاظ وبسط المعاني، وذلك بتقليب المعنى على وجوه مختلفة، والمزاوجة بين الجمل والعبارات وهذا من شأنه أن يضفي على الأسلوب لونا من الجمال الذي يتمثل في هذا التلوين الصوتي، والإيقاع المتولد من تعاقب الجمل وتوافق فواصلها، فكأنما كانت الغاية أن يؤدى المعنى أداء معنويا وموسيقيا في آن"[67]، والتفاوت في "الأرض ملحوظ بين الناس بحسب وسائلهم وأنسابهم واتجاهاتهم وأعمالهم، ومجال الأرض ضيق، ورقعة الأرض محدودة، فكيف بهم في المجال الواسع وفي المدى المتطاول، كيف بهم في الآخرة التي لا تزن الدنيا كلها جناح بعوضة"[68]، وهكذا كما بدأ التحليل من مقدمة إلى قصة، وقد انتهى إلى نتيجة وخاتمة تستقر في الأدهان، ﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء: 21)، "فمن شاء التفاوت الحق، ومن شاء التفاضل الضخم، فهو هناك في الآخرة، هنالك في الرقعة الفسيحة والآماد المتطاولة التي لا يعلم حدودها إلا الله، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون لا في متاع الدنيا القليل الهزيل"[69].

6- النص بين قصدية المؤلف وقصدية القارئ:

إنّ مقصدية الكاتب الهادفة إلى التأثير والإقناع ونقل التجربة القرآنية الشعورية الحية تجعله يوسع القضية المحورية الكبرى بتغيير المقولات لتنويع منافذ الوصول إلى المتلقي عن طريق توليد المعاني وتماثلها، والتماثل "علاقة دلالية تعني تكرار نفس المحتوى الرئيسي (prédicate) لقضية كبرى، في قضية كبرى أخرى مع التغيير في المقولات المصاحبة للخبر"[70]، فهذه الخاصية التفعيلية تكشف عن الأبعاد التواصلية للمؤلف المتمثلة في إعادة البناء التصوري، ولهذا يأتي ذلك التماثل لينتج قضايا جديدة تصل بينها علاقات دلالية، "من الضروري أن نؤكد هنا أن تلك العلاقات لا تقوم فقط بين قضايا تقع في نفس المستوى الدلالي، ولكن من الممكن أن تقوم بين قضايا تقع في مستويات دلالية مختلفة، فقضية صغرى قد ترتبط في علاقة مع قضية كبرى وقضية كبرى قد ترتبط بقضية أكبر علاقة دلالية"[71]، إنّ ذلك الاستطراد في نظم الخطاب الظلالي هو تأسيس لقواعد جديدة بين المتلقي والنص والمتكلم لتحقيق الوظيفة التواصلية الغائبة بسبب الاضطراب والخلل اللذين أصابا أحد أركان العملية التواصلية وغايات التلقي، وإعداد القارئ من خلال ذلك التدرج التسلسلي للقضايا وربط العلاقات الدلالية بينها هو الوصول إلى إقناع القارئ وتهيئته لقبول محتويات النص.

نستطيع القول: إن انتظام الخطاب وبتفعيل السياق وآليات الإنتاج كالاستقصاء والتماثل والتوازي قد أدخل القارئ في تجربة مع النص، باعتبارها تجربة أدبية راقية، ذلك "أنّ الشيء الأساسي في قراءة كل عمل أدبي هو التفاعل بين بنيته وتلقيه"[72]، وتقوية الصلة بين القارئ والنص غايتها تحقيق الأبعاد الجمالية والفنية والفكرية لإحداث التفاعل المرتقب، "وإذا كان الموقع الفعلي للعمل يقع بين النص والقارئ فمن الواضح أنّ تحقيقه هو نتيجة للتفاعل بين الإثنين، ولذا فالتركيز على تقنية الكاتب وحدها لن يفيدنا الشيء الكثير في عملية القراءة نفسها. وهذا لا ينفي الأهمية الحيوية للقطبين (الجمالي والفني) بل كل ما في الأمر أنّنا إذا أهملنا العلاقة بينهما سنكون قد أهملنا العمل الفعلي كذلك"[73]، إنّ تحليل النصوص يكون في اتجاهين (المرسل-المرسل إليه، المرسل إليه-المرسل) في إطار سياق جدّي جديد، "فالتحليل المنفرد لا يكون مُقْنِعًا إلا إذا كانت العلاقة هي علاقة بين مرسل ومتلق، لأن هذا يفترض مسبقا سننا عاما يضمن تواصلا دقيقا، ذلك أن الخطاب سيكون مرسلا في اتجاه واحد، أما في الأعمال الأدبية فيرسل الخطاب في اتجاهين اثنين لأن القارئ (يتلقاه) وهو يركبه"[74].

7- السياق وانتظام الخطاب الظلالي:

يقدم المؤلف خطابا تظهر فيه بعض ملامح النظم من حيث انسجامه واتساقه مع لفت انتباه المتلقي إلى تنظيم قراءة الخطاب القرآني من خلال تقنيات المحاور والمقاطع والجولات والدروس والأشواط، وكلها آليات تنبه المتلقي إلى إحكام النص القرآني وما تعلق بالسورة أو الآيات منتهيا إلى كيفية بناء السورة وتقديم موضوعاتها وترابطها تتابعا وتناسبا ليصل بالقارئ إلى أن السورة هي كيان محبوك البناء شديد التماسك، وبالمقدمة وجدنا الدارس ينظر - مثلا- إلى سورة الإسراء من باب الخطاب المنظم المحكم، فلها محور هو أساس بنائها، تتفرع عنه موضوعات تتسع ثم تضيق في ختام يناسب نقطة البدء؛ "هذه السورة مكية وهي تبدأ بتسبيح الله وتنتهي بحمده، وتضم موضوعات شتى معظمها عن العقيدة، وبعضها عن قواعد السلوك الفردي والجماعي وآدابه القائمة على العقيدة إلى شيء من القصص عن بني إسرائيل يتعلق بالمسجد الأقصى الذي كان إليه الإسراء، وطرف من قصة آدم وإبليس وتكريم الله للإنسان، ولكن العنصر البارز في كيان السورة ومحور موضوعاتها الأصيل هو شخص الرسول ﷺ وموقف القوم منه في مكة، وهو القرآن الذي

جاء به، وطبيعة هذا القرآن، وما يهدي إليه واستقبال القوم له، واستطراد حول الرسالة والرسل، وحمد الله و شكره، في تلك الموضوعات المنوعة حول ذلك المحور الواحد الذي بيّنا، يمضى سياق السورة في أشواط متتابعة"[75].

يشرع المؤلف بعد النص الافتتاحي لتهيئة القراء في تفصيل أشواط السورة بقوله: "يبدأ الشوط الأول بالإشارة إلى الإسراء ونكبة بني إسرائيل وهلاكهم وتشريدهم مرتين، ويبدأ الشوط الثاني بقاعدة التوحيد، وينظر الشوط الثالث إلى أوهام الوثنية، أما الشوط الرابع فهو عن حقيقة رسالة محمد ﷺ وطبيعتها، أما الشوط الأخير فهو عن طبيعة الصراع بين الحق والباطل، وكيد المشركين للدعوة وصاحبها، وإذا كانت السورة قد بدأت بالتسبيح فإن خاتمتها كانت بحمد الله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل، كما بدأها تسبيحه وتنزيهه"[76].

يقيم الدارس الأشواط ويؤسس تقسيمها على روابط دلالية لبيان وحدة معمار السورة الخاص، المتراص الأجزاء، المتلاحم الموضوعات حول محورها الأساسي دون انفصال، وفي ذلك إشارة إلى آليات ترتيبية تسمح بالخروج المرن من موضوع والولوج إلى آخر وحسن التخلص منه دون شعور، وما بين الشوطين ما هو إلا راحة استئناس وانتقال بألطف وجه، إذ يحرص المؤلف على تقديم النص القرآني من خلال الإضاءة الظلالية في بيان أن السورة مرتبة ترتيبا منطقيا وموضوعيا متكئا في تحديد تلك العلاقات على البنى الدلالية المكونة للموضوع الكلي، وهو ترتيب عضوي مبعدا عن المتلقي الانتقال السطحي الشكلي أو خفاء الرابط الدلالي، " ولا شك أن لترتيب الوقائع والأحداث في الخطاب حسب وقوعها في الخارج في المقام أهمية في انسجام الخطاب وتوافقه وكثيرا ما يؤدي تداخل التراتيب في خطاب ما إلى عدم انسجام الخطاب"[77]، وفي نهاية هذا البحث **يخلص المقال إلى بعض النتائج**:

- يبقى الخطاب القرآني في نظر المناهج القرائية، " تحكمه مبادئ عديدة، منها الوحدة العضوية، والموضوعية للنص، ومبادئ منطقية، ومبادئ تداولية ومقامية متنوعة"[78]، وهي المبادئ التي اتكأ عليها الدارس في كل إجراءاته واستخدمها في مقاربته التأويلية ليضع القارئ أمام كيان خطابي منتظم وموحد ومتجانس ومتماسك ومتسق في ظل سياق نصي ونفسي بقصدية تجديد عمليات التواصل وتكييف عمليات التلقي، والاستعداد الذهني والوجداني حسب سياق الحالات الفردية أو الجماعية لتلقي النص القرآني وفق استراتيجية قرائية تبنت منافذ متكاملة.
- إن تفعيل السياق ليس مقتصرا فقط على حركة الإنسان وصناعة واقعة وفق توجيهات وتكاليف النص القرآني، وإنما كذلك على حركة الإنسان العقلية والفكرية والأدبية والقصدية والتأويلية بتطوير المعرفة العلمية والمهارات القرائية من خلال الاستفادة من الإجراءات المتعددة والمتنوعة المقاربة للنصوص وحركة الإنسان.
- إنّ دراسة الرسالة اللغوية في ضوء العلاقة بين النص والسياق قد أسهمت إسهاما كبيرا في تحليل الخطاب وتأويله، بإثراء المعطيات الثقافية والاجتماعية والنفسية في القراءة والتفسير معا، إذ كان المؤلف يجمع بين حركتين في القراءة، حركة من خارج النص إلى داخله بالاتكاء على السياق الجدلي للنص إلى بنيته الداخلية، و حركة من داخل النص إلى خارجه في ظل التأويل المقصود، و بهذه الصورة يعمل المنهج القرائي على تحريك الفعل القرائي في الاتجاهين، من النص إلى القارئ، ومن القارئ إلى النص لتمر القراءة ذهابا وإيابا بنقطة التقاطع التي تمثل فضاء المتكلم.

- يطرح المؤلف نظرية قرائية جديدة للنص القرآني تأخذ بسلطة الأطراف الأربعة؛ المتكلم، النص، القارئ، فاعلية السياق، وهي توزع فضاءات المناورة وحيزات الاشتغال لتلك السلطة حسب قيمة كل طرف، ويبقى الطرف الأخير- في نظر الكاتب- في منظومة القراءة والتلقي من العناصر الغائبة، فاستبعاد أو إهمال محيط الحركة وفضائه الفاعلي هو بالضرورة إنتاج إنسان نظري، فهذه الرؤية القرائية نتجت أساسا عن الجمع بين النظرية والحركة، وبين المعرفة والعمل، وهي عملية التلقي الصحيحة التي تتأصل حسب رؤية المفكّر من معالم المنهج الرباني الحركي.
- مكنت هذه القراءة من تشغيل وتفعيل أهم الأركان الأساسية في النظام التداولي وهو السياق بكل أشكاله وصوره بالفعل الاختراقي للأزمنة وربط جسور التواصل للإعادة إنتاج سياق النص لحظة التنزيل وضمان قدر من المعايشة الوجدانية والحركية، وذلك من خلال نظام لغوي منسجم ومناسب لعصر القارئ.
- النص الظلالي رسالة لغوية تشكلت وفق السياق المعاصر للمؤلف من خلال جدلية الصراع الذي عرفه العالم العربي والإسلامي مع نفسه ومع الآخر في منتصف القرن العشرين الأول، آخذة في ذلك بحركته وواقعه الحي وأفكاره المتشكلة، ويظهر ذلك من البنية النصية الظلالية التي وضعت الجيل المتلقي المعاصر في سياقه الحاضر من خلال الفعل القرائي المشخص والمحلل، وعلى أساسه تشكلت استراتيجية القراءة في القصد والتأويل، والرؤية في الكتابة، والحركة في العمل.
- تتجاوز القراءة السياقية المعادل اللغوي والزمن المنغلق، إلى الزمن المنفتح وإلى الأثر الذي ينشئه النص في عالم النفس والحياة، وإلى تجلية المقاصد التي تتحقق في محيط الإنسان، وهي من أقوى العوامل المؤثرة في المتلقي وفي منظومته الفكرية والتصورية، والقادرة على التوجيه والتربية والاستجابة.
- يفعّل السياق المعطيات النصية في اتجاهاتها الإيحائية والدلالية لتحقيق قدر كبير من الأثر والاستجابة والفاعلية، وهو تحول ممّا يقوله النص إلى ما يحدثه، وما ينشره في النفس ومحيطها من الدلالات الغائبة عن المتلقي التي يقوم الظلال بترجمتها، وهو منحى تأويلي مقصود، ولا يتأتى ذلك إلا باستنطاق البنى النصية وتقصي دلالاتها الخفية.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم

1- أحمد الجواد الدومي/حسن صالح العناني، جعفر بن أبي طالب، منشورات المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، 1393ه-1983م.
2- السيوطي، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن، ج5.
3- الطبري، محمد بن جرير، تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية – بدار هجر-للطباعة والنشر والتوزيع، ج1، بيروت، لبنان، 1405ه.
4- أمبر تو إيكو، القارئ في الحكاية، التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية، تر: أنطوان أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1 1996.
5- بدر الدين بن عبد الله. الزركشي البرهان في علوم القرآن ج1.
6- حسام أحمد فرج، نظرية علم النص، رؤية منهجية في بناء النص النثري، مكتبة الآداب، ط2، 1430ه-2009م، القاهرة.
7- خلود العموش، الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص والسياق، جدارا للكتاب العالمي الأردن، ط1، 2008.
8- سيد قطب، في ظلال القرآن، طبعة جديدة مشروعة، تتضمن إضافات وتنقيحات تركها المؤلف وتنشر للمرة الأولى، الطبعة الشرعية11، 1405ه /1985م.
9- سيد قطب، نظرية التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، ط16، القاهرة، 1423ه/2002م.
10- فخر الدين بن عمر بن الحسين، الإمام الرازي (ت:606) التفسير الكبير، ج2، ط2 دار الكتب العلمية 1971.
11- فولفغانغ إيزر، فعل القراءة، نظرية جمالية التجاوب في الأدب.

12- محمد بن أحمد جهلان، فعالية القراءة وإشكالية تحديد المعنى في النص القرآني، دار صفحات للنشر والتوزيع، ط1، 2008، سورية، -
13- محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج1، ط2، دار المنار، القاهرة، 1366ه-1947م.
14- محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج1.

الهوامش:

[1]- سيد قطب، نظرية التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، ط16، القاهرة، (1423ه/2002م)، ص:05.
[2]- سيد قطب في ظلال القرآن، ج4، طبعة جديدة مشروعة، تتضمن إضافات وتنقيحات تركها المؤلف وتنشر للمرة الأولى، الطبعة الشرعية 11، 1405ه /1985م، ص: 2039.
[3]- في ظلال القرآن، ج4، ص:2038
[4]- محمد بن أحمد جهلان، فعالية القراءة وإشكالية تحديد المعنى في النص القرآني، دار صفحات للنشر والتوزيع، ط1، 2008، سورية، ص:140.
[5]- في ظلال القرآن، ج4، ص:2039.
[6]- المصدر نفسه، ج4، ص:2039.
[7]- المصدر نفسه، ج4، ص:2040.
[8]- المصدر نفسه، ج4، ص:2041/2040.
[9]- المصدر نفسه، ج1، ص:28.
[10]- خلود العموش، الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص والسياق، جدارا للكتاب العالمي الأردن، ط1، 2008، ص:155.
[11]- في ظلال القرآن، ج6، ص:3776.
[12]- المصدر نفسه، ج4، ص:2038.
[13]- خلود العموش، الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص والسياق، ص:162.
[14]- في ظلال القرآن، ص:42.
[15]- خلود العموش، الخطاب القرائي، دراسة في العلاقة بين النص والسياق، ص:169.
[16]- محمد بن أحمد جهلان، فعالية القراءة وإشكالية تحديد المعنى في النص القرآني، ص:142.
[17]- في ظلال القرآن، ج2، ص:904.
[18]- المصدر نفسه، ج2، ص:904.
[19]- محمد بن أحمد جهلان، فعالية القراءة وإشكالية تجديد المعنى في النص القرآني، ص:142.
[20]- أحمد الجواد الدومي/حسن صالح العناني، (جعفر بن أبي طالب)، منشورات المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، 1393ه-1983م، ص:55-56.
[21]- أمبر تو إيكو، القارئ في الحكاية، التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية، تر: أنطوان أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1 1996 ص95
[22]- خلود العموش، الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص والسياق، ص: 179.
[23]- المرجع السابق، ص: 181.
[24]- في ظلال القرآن، ج1، ص:310-311.
[25]- المصدر نفسه، ج1، ص:311.
[26]- خلود العموش، الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص والسياق ص:188.
[27]- بدر الدين بن عبد الله. الزركشي البرهان في علوم القرآن ج1، ص:38.
[28]- خلود العموش، الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص والسياق ص:190
[29]- محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج1، ص24.
[30]- فخر الدين بن عمر بن الحسين، الإمام الرازي (ت:606) التفسير الكبير، ج2، ط2 دار الكتب العلمية 1971 ص:37.
[31]- خلود العموش، الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص والسياق ص: 198.
[32]- في ظلال القرآن، ج4، ص:2322.
[33]- ينظر، السيوطي، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن، ج5، ص:1846.
[34]- ينظر، في ظلال القرآن، ج4، ص: 2431-2432.
[35]- المصدر نفسه، ج4، ص:2432.

[36]- المصدر نفسه، ج4، ص:2433.
[37]- ينظر: المصدر السابق، ج4، ص:2433.
[38]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[39]- المصدر نفسه، ص، ن.
[40]- ينظر في ظلال القرآن، ج4، ص:2435/2434.
[41]- في ظلال القرآن، ج4، ص:2435.
[42]- أمبرتو إيكو، القارئ في الحكاية، التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية، ص:95.
[43]- محمد بن أحمد جهلان، فعالية القراءة وإشكالية تحديد المعنى في النص القرآني، ص:145.
[44]- المرجع نفسه، ص:146.
[45]- محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج1، ط2، دار المنار، القاهرة، 1366ه-1947م، ص:23.
[46]- الطبري، محمد بن جرير، تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: د/عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية – بدار هجر-للطباعة والنشر والتوزيع، ج1، بيروت، لبنان، 1405ه، ص:11.
[47]- في ظلال القرآن، ج4، ص:2038.
[48]- الطبري، محمد بن جرير، تفسير الطبري، ج1، ص:11.
[49]- في ظلال القرآن، ج4، ص:2039/3038.
[50]- المصدر نفسه، ج4، ص:2039.
[51]- المصدر نفسه، ج4، ص:2039.
[52]- حسام أحمد فرج، نظرية علم النص، رؤية منهجية في بناء النص النثري، مكتبة الآداب، ط2، 1430ه-2009م، القاهرة، ص:78.
[53]- في ظلال القرآن، ج4، ص:2218.
[54]- حسام أحمد فرج، نظرية علم النص، رؤية منهجية في بناء النص النثري، ص:146.
[55]- في ظلال القرآن، ج4، ص:2218.
[56]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[57]- المصدر نفسه، ص، ن.
[58]- المصدر نفسه، ص، ن.
[59]- في ظلال القرآن، ج4، ص:2218.
[60]- في ظلال القرآن، ج4، ص:2218.
[61]- ينظر: في ظلال القرآن، ج4، ص:2218.
[62]- ينظر، فعالية القراءة وإشكالية تحديد المعنى في النص القرآني، ص: 136
[63]- حسام أحمد فرج، نظرية علم النص، ص:145
[64]- في ظلال القرآن، ج4، ص:2219.
[65]- المصدر نفسه، ج4، ص:2219.
[66]- حسام أحمد فرج، نظرية علم النص، ص:137.
[67]- فوزي عيسى، الرسالة الأدبية في النثر الأندلسي ص:232. نقلا عن حسام أحمد فرج، نظرية علم النص ص: 139.
[68]- في ظلال القرآن، ج4، ص:2219.
[69]- في ظلال القرآن، ج4، ص :2219.
[70]- حسام أحمد فرج، نظرية علم النص، ص:148.
[71]- المرجع نفسه، ص:149.
[72]- فولفغانغ إيزر، فعل القراءة، نظرية جمالية التجاوب (في الأدب)، ص:12.
[73]- المرجع نفسه، ص:12.
[74]- المرجع نفسه، ص:12.
[75]- ينظر في ظلال القرآن، ج4، ص:2208-2209.
[76]- ينظر: المصدر نفسه، ج4، ص: 2209 / 2210.
[77]- خلود العموش، الخطاب القرآني، ص:261.
[78]- المرجع نفسه، ص:268.